﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٧١ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ٧٢ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٧٤﴾ [الصافات: 71 - 74]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

لمحبَّةِ النَّبيِّ ﷺ هُـدى قريش وحُـزنـه على ضلالِهم سلّاه الله تعالى

بعد أن ذَكَر اللّهُ تعالى صنوفَ عذابِ الكافرين في الآخرة، وأتْبَعه سببَ ضلالِ المشركين - مِن أنَّهم وجدوا آباءَهم ضالّين، فمضوا على طريقِهم - "ولمّا كان النَّبيُّ ﷺ شديد المحبَّة لِهُداهم والحزن على ضلالهم، والأسف على غيِّهم ومحالهم، وكان الضَّلال مع العقل أوَّلًا، ثمَّ مع وجودِ الرُّسل الَّذين هم من الصِّدق والمعجزات والأمور الملجِئة إلى الهدى ثانيًا كالمُحال؛ سلّاه سبحانه بقولِه على سبيل التَّأكيد لزيادة التَّحقيق: ﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُّنذِرِينَ﴾، ﴿ٱلۡمُنذَرِينَ﴾: (نذر) كلمةٌ تَدُلُّ عَلى تَخويفٍ أو تَخوُّفٍ، مِنهُ الإنذارُ: الإبلاغُ، ولا يَكادُ يكونُ إلّا في التَّخويف، وتناذروا: خَوَّفَ بَعضُهُم بَعضًا، ومِنهُ النَّذرُ، وهو أنَّهُ يَخافُ؛ إذا أخلفَ[2]، وأنذَرْتُ الرَّجُلَ كذا إنذارًا: أبلَغْتُهُ، يَتَعَدَّى إلى مَفعولَينِ[3]، فالـ﴿مُّنذِرِينَ﴾ اسمُ فاعلٍ من الإنذار، وهم الرُّسل الكرام، الَّذين أرسلَهم اللّهُ تعالى إلى عبادِهِ؛ ليُحذِّروهم مِنَ الكفر وعواقبه الأليمة، و﴿ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ اسمُ مفعولٍ مِنَ الإنذار، وهم عبادُ اللّهِ تعالى، الذين حذَّرهم الرُّسلُ الكرام، وخوَّفوهم مِنَ الكفرِ وعواقبه.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 243.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نذر).
(3) الفيومي، المصباح المنير: (نذر).

2) ﴿عَقِبَةُ﴾: (عقب) أصلانِ صَحيحانِ: أحدُهُما يَدُلُّ عَلى تَأخيرِ شَيءٍ وإتيانِهِ بَعدَ غَيرِهِ، والأصلُ الآخرُ يدُلُّ عَلى ارتفاعٍ وشِدَّةٍ وصُعوبةٍ[1]، والـ "عاقِبة مفرد، جمعها: عواقبُ: آخِرُ كلِّ شيءٍ وخاتمتُه، والجزاءُ بالخير أو الشَّرِّ... مثل: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: 22]، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: 128]"[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

سُنَّةُ اللهِ تعالى في إهلاكِ الكافرين وإنجاءِ المؤمنين ماضية في خلقِهِ

تأكَّدْ - أيُّها الرَّسولُ - أنَّ أكثرَ الأمم السّابقة على أمَّتك في الوجود رفضوا قبولَ دينِ التَّوحيد، وضلّوا عن سواء السَّبيل، مع كثرة الرُّسل الَّذين أرسلناهم للأخْذِ بأيديهم إلى سواءِ السَّبيل، فعاقبناهم بالهلاكِ في الدُّنيا وعذابِ الحريقِ في الآخرة، ونجّينا القلَّة المؤمنةَ المخلَصةَ مِنَ الله تعالى المخلِصةَ له ﷻ، فهوِّن عليك، ولا تحزن عليهم، واعتبِروا يا كفّار قريش، واحذروا أن تَردّوا على رسولِكم ﷺ دعوتَهُ، فينالكم مثلُ ما أصابَ الكفّارَ من قبلكم مِنَ الهلاك في الدُّنيا والعذاب في الآخرة.

وترشدُ الآياتُ الكريمة إلى أنَّ الأممَ السّابقة قد ضلَّ أكثرهم، وإلى تسليةِ النَّبيِّ ﷺ بذكر المُماثلِ للَّذين كذَّبوه؛ لأنَّ الإنسانَ يتسلَّى، ويتأسّى بغيره، وإلى عنايةِ الله تعالى برسولِهِ ﷺ؛ حيث كان يضرب له مِنَ الأمثلةِ ما يسلّيه بها؛ لأنَّ سِلْوَ الإنسانِ بغيرِهِ يكون عليهِ الأمر وفي يده قوَّةٌ واندفاعًا فيما يدعو إليه[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾:

(الواو) في جملة: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ استئنافيَّةٌ؛

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عقب).
(2) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (عقب).
(3) ابن عثيمين، تفسير سورة الصافات، ص: 162.

منهجُ الأممِ كلِّها مع أنبيائِها واحدٌ القلّة يؤمنون بِهم والكثرة يكذِّبونهم

إذ انتقلت الآياتُ السّابقة مِن ذِكر الظّالمين مِن قريش إلى ذكر عقوبتِهم، وأبانَت عن تقليدِهم الأعمى لآبائِهم، وتستأنف الآيات هنا خبرَ مَن ضلَّ مِنَ الأمم السّابقة، وتبيِّن أنَّ منهجَ الكفرِ واحدٌ في جميعِ الأمم، فأكثرُهم ضالٌّ عن سواء السَّبيل.

ويمكن اعتبارُ الواو حاليَّة، أي: إنَّ هؤلاءِ على خُطا آبائِهم، والحال أنَّ هذا منهجُ الأممِ كلِّها مع أنبيائها، يَكفرُ بهِ، ويكذِّبُه أغلبُهم، كما يكذِّب هؤلاءِ محمَّدًا ﷺ، وفي ذلك تسليةٌ للرَّسول ﷺ، إلى ما فيه مِن وعيدٍ للمكذِّبين.

معنى (اللام) ودلالة (قد) في: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ﴾:

تآزرُ الأساليبِ في البيان عن صدق الخبرِ

قولُهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ﴾ جوابُ قسم، أي: وباللّه لقد ضَلَّ قَبلَهُم[1]، و(اللام) في (لقد) ابتدائيَّة توكيديَّة، و(قد) تحقيقيَّة داعمةٌ لـ (اللام)؛ فتتآزران على القطعِ بِصدق الخبرِ؛ حتى يتسلَّى الرَّسول ﷺ ويأنس إلى هذا الواقعِ الَّذي سبقه إليه إخوانه من الأنبياءِ والمرسلين.

دلالةُ التَّعبيرِ بالضَّلال ماضيًا:

الضَّلالُ يستوعبُ الكفرَ وزيادة

ذُكِرَ الضَّلالُ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، والمقصودُ: ولقد كفرَ قبلَهُم أكثرُ الأوَّلين، لكن التَّعبيرَ بالضَّلالِ أعمُّ دلالةً مِنَ الكفرِ؛ إذ يتَّسِعُ الضَّلال لِكلِّ أنواع الاختلال المعنويِّ والحسّي، ومن ذلك الكفرُ طبعًا، فالكفر ضلالٌ في العقيدةِ، وتنكُّبُ منهاج الشَّريعة فقط، بينما كان ضلالُهم عامًّا، حتى إنَّهم ضلّوا طريقَ الجنَّة إلى طريق جهنَّم، وكان سببُ ضلالِهم "التَّقليد وترك النَّظر والتَّأمُّل"[2].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالمجاز العقليِّ:

أسندَ النَّظمُ الكريم فعلَ الضَّلال إلى الكفّار في قوله تعالى: ﴿ضَلَّ﴾... ﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وإنَّما أضلَّ إبليس، ولم يذكر إبليس؛

(1) حقي، روح البيان: 7/ 466.
(2) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 126.

لأنَّ في الكلام دليلًا عليه، فاكتفى بالإشارةِ، ومثل هذا كثيرٌ في القرآنِ[1]، ومِن بلاغةِ هذا الإيجازِ توجيهُ اللَّوم إليهم، وبيان دورِهم في هذا الضَّلال؛ إذ الشَّيطانُ لا يجرؤُ على الوسوسَةِ للعبد والتَّحكُّم فيه إلّا بعد أن يأذنَ له، كما في قولِه تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥﴾ [الأعراف: 175]، فلمّا انسلخَ هو منها أوَّلًا؛ أتبعه الشَّيطان، فأغواهُ.

الشَّيطانُ لا يجرؤُ على الوسوسةِ للعبدِ والتَّحكُّم فيه إلّا برضاهُ

سرُّ التَّقييدِ بالقَبليَّة في القيد ﴿قَبۡلَهُمۡ﴾:

آثرَ النَّظمُ الكريمُ ذِكْرَ القيدِ بالقبليَّةِ، فقال: ﴿ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾؛ وذلك لتطييبِ خاطرِ صلّى اللّه تعالى عليه وسلَّم بأنَّ الأشرارَ يتوالدونَ عقيدةً وفكرًا وسلوكًا، ويتتابعون على المنهجِ ذاتِه، وكأنَّه يقول: إنَّ هؤلاء - أيُّها الرَّسول - خَلَفٌ لأولئك السَّلف الأشرارِ، فماذا يُنتظَرُ منهم غيرُ التَّكذيب والكُفر؟ ففي تقييدِ الفعلِ ﴿ضَلَّ﴾ بالظَّرف ﴿قَبۡلَهُمۡ﴾ دعمٌ وتأكيدٌ لتسليَةِ الرَّسول ﷺ وكأنَّ القيدَ ﴿قَبۡلَهُمۡ﴾ يأخذ بالأذهانِ إلى الوراءِ، وكأنَّه ﷺ سيُعاين في ظرفِ القبليَّة السّوادَ العظم منَ الأمم الماضيَةِ مجافين لدعوة الأنبياءِ والمرسلين، فيستمدُّ مِن ذلك القوَّة على مواصلة الدَّعوة، ولا يحزن لِضلال هؤلاءِ الضّالّين المكذِّبين.

القيدُ بالظَّرفِ يأخذُ بالأذهانِ لتُبصِرَ ما وقع فيهِ

الغرضُ مِن تقديمِ القيدِ ﴿قَبۡلَهُمۡ﴾:

لأهميَّة القيدِ بالقبليَّة في تسلية الرَّسول ﷺ والدُّعاة من بعده؛ قدَّم النَّظم الكريم ذلك القيدَ على الفاعلِ، فقال: ﴿ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، وفي ذلك استثارةُ تركيزِ الداعية، وشدُّ أزرِه في تبليغِ رسالتِه بأنَّ "الضّالّين من قومِه ليسوا أوَّلَ الضّالين، ولا آخرهم، فلقد ضلَّ قبلَهم أكثرُ النّاس، وقليل هم المؤمنون: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف: 103]"[2].

الدّاعيةُ يتأسَّى بصبرِ الدُّعاة السّابقين في تبليغ رسالتِهِ

(1) السمرقندي، بحر العلوم: 3/ 144.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 12/ 990.

مرجعُ الضَّميرِ ولطيفة الإضافة في ﴿قَبْلَهُمْ﴾:

التَّعبيرُ بالضَّميرِ رسـائـلُ لِمـن طوي اسمُهُ فيه يفهمها العربي الفصيح

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾، أي: "قبل قومِكَ"[1]، فالضَّمير المضافُ إلى الظَّرف في القيد ﴿قَبْلَهُمْ﴾ يعودُ إلى مشركي مكَّةَ وكفّار قريش، الَّذين يعالجُ الرَّسول ﷺ جحودَهم وعنادَهم؛ لأنَّهم أمَّتُهُ الذين بُعِثَ فيهم ولهم ﷺ أوَّلًا، وفي ذِكرهم بضميرِ الغائبين مضافًا إليه الظَّرف (قبل) رسالةٌ مبطَّنةٌ لكفّار قريش، مفادها: أنَّ ذِكر أسمائِكم وذِكرَ صفتِكم إلى طيٍّ وإهمال، مثل مَن (قبلكم) إنْ أصرَرْتم على العنادِ، واشتريتم الكفرَ بالإيمانِ، مع هذا الدّين ذِكرٌ لكم وشرفٌ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالكثرةِ في: ﴿أَكْثَرُ﴾:

المـأمـولُ أن يـهـتـديَ الـنّـاس جميعًا، والواقعُ أنَّ أكـثرَ الـنّـاس على ضلال

التَّعبيرُ بالكثرةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يتَّسق مع نصوص الشَّرع الحنيف، القاضية بأنَّ الضَّلال دائمًا مع الكثرةِ، وأنَّ الهدى مع القِلَّة، ومِن هذا ينبثق قولُهُ ﷺ: "فواللّهِ لأن يَهديَ اللّهُ بِكَ رَجُلًا خَيرٌ لكَ مِن أن يَكونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَم"[2]، فيدلُّ على أنَّ المأمولَ في النّاس غيرُ الواقع فيهم، فالمأمولُ أن يهتديَ النّاس جميعًا، والواقعُ أنَّ أكثر النّاس على ضلال.

نكتةُ صوغِ ﴿أَكْثَرُ﴾ على (أفعل):

كـثرةُ الـعـددِ لا تُسوِّغُ الضَّلال، والـهـدى والـضَّـلال ليسا من آثـار الـعـددِ كثرةً وقلّةً

صوغُ الفاعلِ ﴿أَكْثَرُ﴾ على (أفعل) يدلُّ على الكثرة المعنويَّة بِطريق التَّفضيل إلى الكثرة اللَّفظيَّة في المادَّة اللُّغويَّة.

"وُصِف الذين ضلّوا قبلهم بأنَّهم ﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ لِئلّا يَغترَّ ضعفاءُ العقولِ بِكثرة المشركين، وليعلموا أنَّ كثرةَ العَدَدِ لا تُبرِّر ضلالَ الضّالّين ولا خطأ المخطئين، وأنَّ الهُدى والضَّلال لَيْسا من

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 12.

(2) البخاري، صحيح البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ: 4/ 60 برقم: (3009).

آثارِ العَدَدِ كثرةً وقِلَّةً، ولكنَّهما حقيقتان ثابتتان مستقِلَّتان، فإذا عَرَضَتْ لإحداهما كثرة أو قلَّة، فلا تكونان فتنةً لِقِصار الأنظار وضعفاء التَّفكير، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة: 100]"[1].

علَّةُ التَّعبيرِ بـ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وصوغه على (أفعل):

كـثرةُ الضّالّين عـن المهتدين منهج مطَّردٌ في النّاس جميعًا

عبَّر الذِّكرُ الحكيم عن الأمم السّابقة على أمَّة العربِ بـ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ دون السّابقين، وذلك أنَّ في السّابقين معنى السَّبْق، وهو مدحٌ، كما يوهم وصف (السابقين) أنَّ المقصودَ: "السّابقين على قريش مباشرة"، وهم أُمَّة عيسى ﷺ، وربَّما تضربُ إلى الماضي بجيلٍ أو جيلينَ أو أمَّة أو أمَّتين فقط.

أمّا وصْفُ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ فيضربُ في جذورِ التّاريخ البشري حتى أُمَّة نوح ومن تلاهم مِنَ الأمم، وفي ذلك دعمُ الكنايةِ عن اطِّراد ذلك المنهج في النّاس جميعًا، و"الأوَّلين جمعُ الأوَّل، وهو هنا مستعملٌ في معنى الماضين السّابقين عمومًا، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، فإنَّ الذين أُهلِكوا قد انقرضوا بِقَطْع النَّظر عمَّن عسى أن يكونَ خلفَهم مِنَ الأمم"[2].

معنى (الواو) في قولِهِ: ﴿وَلَقَدْ﴾:

الـــــدّلالاتُ القرآنيَّةُ تتلاقى، وتتّسقُ، ممّا يقرِّر أنّـه كـلامُ الله

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ عاطفةٌ على جملة: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، فإنَّهم لمّا ضلّوا، وأبعدوا في الضَّلال؛ أرسلَ اللّهُ تعالى فيهم منذِرين يُحذِّرونهم عاقبةَ الضَّلال، ويُبَيِّنون لهم سبيلَ الرَّشاد.

ومن إشاراتِ (الواو) هنا الرَّبطُ بين وجود كلِّ أمَّة ببعث رسول أو أكثر إليها، وأنَّه لم توجد أُمَّة لم يُرسَل فيها نذيرٌ، وذلك ما جاء

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 128.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 165.

مصرَّحًا في آية أخرى؛ إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر: 24]، وهكذا تتناغم الدَّلالاتُ القرآنيَّةُ، ويؤكِّد بعضُها بعضًا، وما جاءَ إشارةً مطويَّةً في موضع، جاء صريحًا في موضع آخرَ، ممّا يقرِّر أنَّه كلامُ اللّهِ تعالى، وأنَّه إنَّما يخلو من الاختلافِ لذلك.

معنى (اللام) ودلالة (قد) في: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا﴾:

(اللام) في قوله: ﴿وَلَقَدۡ﴾، موطِّئة للقسم، و(قد) تحقيقيَّةٌ داعمةٌ لهما في تَثْويرِ العَجَب في نفوس المتلقّين، وفي قرعِ آذانِ كفّارِ قريش؛ إذ كان يقتضي إرسالُ الرُّسلِ المنذرين إلى الأمم أنْ يصيرَ أكثرُهم مؤمنين، أما وقد ضلَّ أكثرُهم؛ فإنَّه دليلٌ على ضعفِ آدميَّتهم أمام إبليسَ الَّذي أضلَّهم، وأعمى أبصارَهم، برغم عدم سلطانِهِ عليهم، وإنَّما إغواؤُهُ وسوسةٌ لا جبْرَ فيها، وفي تصدير الجملةِ بـ (اللام)، والقسَم، و(قد)، إبرازٌ لكمال العنايةِ بمضمون الخبرِ، وتلك العناصرُ المتكاثفة المتكاتفة تتآزرُ على انتزاعِ كلِّ شكٍّ قد يخالج النُّفوس في واقعيَّة ذلك الخبر العجيب.

يقتضي إرسالُ الرُّسل إيمانَ أكثرِ الأمم؛ فدلَّ ضلالُ أكثرِهم على ضعفِ آدميَّتهم

بلاغةُ التَّعبيرِ بالاستعارةِ في فعل الإرسال:

كَلَّفَ اللّهُ تعالى المنذرين بتبليغِ أقوامِهم، ولِما لِهذا التَّكليف مِن عظمةٍ وخطورة صوَّر في صورة إرسالِ رسولٍ مِن مكانٍ إلى مكانٍ برسالةٍ مهمَّة، يحملُها الرَّسول؛ ليؤدّيها إلى المرسلِ إليهِ، والرَّسول يتكبَّد مشاقَّ حَمْلها، ويعالج بُعدَ السَّفر مِنَ المرسِل إلى المرسَل إليه، فوجبَ احترامُ كلِّ رسولٍ يَقدُم على المرسلِ إليهِ برسالةٍ، وأن يُحتفَى بهِ، ويُحسنَ استقباله.

سيدفعُ اللهُ عن رسولِهِ كيدَ الضّالين، كما فعل بالمرسلين مِن قبلِهِ

وتكونُ حفاوةُ استقبالِ السَّفيرِ أو الرَّسول بحسب قدْرِ مَن أرسلَهُ، وبقدرِ قيمةِ الرِّسالة الَّتي يحملُها، وبهذا الإيحاءاتِ في جملة ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾، كان ينبغي على الأممِ تكريمُ رُسلِها وإكرام وفادتهم؛

لأنَّهم مكلَّفون من قِبَلِ أعظمِ مرسِلٍ هو اللّهُ ﷻ ويحملون أعظم رسالة، فما بالهُم يُعادون الرُّسل؟ وما بالهم يُجالِدونهم إلى حدِّ المقاتلة، بل ربَّما قتلوا بعضهم قتلًا، كما فعلت بنو إسرائيلَ؟ فيا لَهذهِ الجراءةِ على رُسلِ اللّهِ تعالى ﷻ، وعلى رسالةِ مرسلِهم جلَّ في علاه!

كما أنَّ ذلك التَّصويرَ "تطمينٌ لقلب النَّبيِّ ﷺ وأنَّ اللّهَ تعالى سيدفع عنه كيدَ هؤلاءِ الضّالين، كما فعل بالمرسلين مِن قبلِهِ؛ إذ نجّاهم والمؤمنين معهم من كيدِ الكافرين، الَّذين أخَذَهُم اللّه أخْذَ عزيزٍ مقتدرٍ"[1].

سرُّ إسنادِ الإرسالِ في ﴿أَرْسَلْنَا﴾:

ضميرُ العظمةِ في ﴿أَرْسَلْنَا﴾ يدلُّ على عظمةِ الرِّسالة الَّتي جاء المنذرون ﷺ مِن عندِ اللّهِ تعالى لتبليغها للنّاس، وأنَّه لذلك وجبَ الإيمانُ بها، بل وإكرامها وإكرامُ من جاء بها؛ تعظيمًا وإكرامًا لمن أرسلَهم ﷻ.

تعظيمُ اللهِ ﷻ واجبٌ على المؤمن، وكذلك الإيمان بأنَّ رُسُلَهُ حقٌّ

معنى (في) وبراعة التَّقييد في ﴿فِيهِم﴾:

(في) في جملة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ حرفٌ للظرفيَّة المجازيَّة؛ إذ كان الإرسالُ إليهم لا فيهم، وأنَّهم غايةُ الإرسال، وأنَّ هدايتهم مطلوبُ الإرسالِ أصلًا، فعبَّرَ النَّظم الكريم بـ (في) دون (إليهم)، وكأنَّ المنذرين ﷺ إنَّما أُرسِلوا في وسطِهم، وكأنَّ الأمَّة ظرفٌ وُضِعت فيهِ الرِّسالة؛ كنايةً عن تمكُّنهم مِن وعي الرِّسالات، وتمكُّن بصرِهم بمزاياها المنيرةِ المباركةِ، ومع ذلك لم ينتفعوا بها، بل أصرّوا على الجحودِ، وذلك أوقعُ في باب التَّسليةِ للرَّسول ﷺ، كما هو أوقع في صبِّ الإنكار والذَّمِّ عليهم.

تمكَّنَ الكفّارُ مِن وعي الرِّسالة، فلم ينتفعوا بها بل حاربوها

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 12/ 991.

وجهُ مرجعِ الضَّمير في القيدِ ﴿فِيهِم﴾:

الـضّـالّـون مـبـعـدونَ عـن رحمةِ الله

"ضميرُ ﴿فِيهِم﴾ راجعٌ إلى ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾، أي: أرسلنا في الأوَّل منذِرين، فاهتدى قليلٌ، وضلَّ أكثرُهم"[1]، والذِّكْرُ بِضميرِ الغائب يُلمَحُ في مقامِ اللَّوم والذَّمِّ إلى إبعادِهِ؛ نتيجةً لبُغض سلوكه.

الغرضُ من تقديمِ ﴿فِيهِم﴾ على ﴿مُّنذِرِينَ﴾:

الـتّـصـرُّفُ في الـتّـراكـيـب القرآنيَّة يترجم دلالاتٍ جليلةً

قدَّمَ النَّظم الكريمُ القيدَ ﴿فِيهِم﴾ على المفعول ﴿مُّنذِرِينَ﴾ في جملة ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾؛ إمعانًا في بيان تأصُّل الضَّلال في ﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وتمكُّنه منهم، وفي ذلك مزيدُ اعتناءٍ بهدايتهم، ممّا يعكس مزيدَ عنادٍ لَفَّهم، وخطورة ضلال استحكمَ مِنهم.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿مُّنذِرِينَ﴾، ولطيفة تنكيره:

خَـصَّ المرسلين بوصف المنذرين لِمـنـاسـبـةِ حـال المتحدَّث عنهم وأمثالِهم

في التَّعبيرِ بـ (الإنذار) دون (الإرسال) في المفعول ﴿مُّنذِرِينَ﴾ تركيزٌ على جانب الإنذارِ والتَّخويف من عواقب الضَّلال والكفرِ، فالإنسان بطبعِهِ وجِبِلَّتِهِ يَرهب العذابَ أكثر ممّا يرغبُ النَّعيم، فذُكِر المرسلونَ بوصفِ الـ ﴿مُّنذِرِينَ﴾ لعلَّه يُجْدي معهم، أو يؤثِّر فيهم، ومع ذلك لم يتأثَّروا، ولم يؤمنوا؛ فيا لقسوة قلوبهم!

والعدولُ عن (مرسلين) إلى ﴿مُّنذِرِينَ﴾ - برغم عدم ملاءمتِهِ لفعل ﴿أَرْسَلْنَا﴾ - يحقِّق الجناس الفاعل مع ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾ في فاصلةِ الآيةِ التّالية: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾، قال ابنُ عاشورٍ: "وخَصَّ المرسلين بوصف المنذرينَ لِمناسبةِ حال المتحدَّثِ عنهم وأمثالِهم"[2].

وفي تنكيرِ ﴿مُّنذِرِينَ﴾ دلالةٌ على عظيم قدرِهم عند ربِّهم ﷻ، كما فيه إشارةٌ إلى كونِهم "أنبياءَ أولي عَدَدٍ كثيرٍ، ذوي شأن خطير، بيَّنوا لهم بطلان ما هم عليه وأنذروهم عاقبتَهُ الوخيمة"[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 128.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 128.
(3) حقي، روح البيان: 7/ 466.

إشارةُ الجمعِ باسم الفاعل في ﴿مُّنذِرِينَ﴾:

الجمع في ﴿مُّنذِرِينَ﴾ يدلُّ على كثرةِ المبعوثين منهم ﷺ في الأمم السّابقة، وتتابُعهم إلى هؤلاءِ الكفّارِ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾، ومع ذلك لم يسمعوا لهم، ولم ينتفعوا بإنذارِهم؛ وذلك داعمٌ لِقضيَّة التَّسلية المقصودةِ لِرسول الله ﷺ، وممّا يدعم مواساةَ الرَّسول ﷺ أيضًا بناءُ ﴿مُّنذِرِينَ﴾ اسمَ فاعل، فإنَّه يوحي بأنَّ الإنذار امتدَّ، ودامَ على هؤلاء الكفار بدوام بقائِهم، ومع ذلك لم يُجْدِ معهم، فلا تحزن - أيُّها الرَّسولُ - لِجهودك مع كفّار قريشٍ، فما عليك إلّا البلاغُ.

لا يبتَئِسِ الدُّعاةُ لطول دعوتِهم الَّتي لم تُجدِ في العُصاة، فالله تعالى يهدي من يشاء

معنى (الفاء) في قوله: ﴿فَٱنظُرْ﴾:

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ تفريعيَّةٌ؛ إذ "فُرِّع على هذا التَّوجيه الخطابُ إلى الرَّسول ﷺ؛ ترشيحًا لِما في الكلام السّابق مِن جانب التَّسلية والتَّثبيت، مع التَّعريض بالكلام؛ لتهديد المشركين بذلك"(1).

دلالةُ التَّعبيرِ بـ (النظر) في الأمرِ ﴿فَٱنظُرْ﴾:

عُبِّرَ بالنَّظر عن تدبُّر العقل والقلب؛ لقوَّة النَّظر في الحسِّ المباشر في نقل المنظور إليهما، فحُمِل المسموعُ على المبصَر في التَّوصيل إلى العقل والقلب ليتدبَّرا.

النَّظَرُ في الذِّكر الحكيم نوعان نـظَـرُ إبْـصـارٍ، ونظرُ اعتبارٍ

و"إنْ أُريدَ بالعاقبة عاقبتُهم في الدُّنيا؛ فالنَّظَرُ بَصَريٌّ، وإن أريد عاقبتُهم في الآخرة - كما يقتضيه السّياقُ - فالنَّظر قلبيٌّ، ولا مانع مِن إرادة الأمرين، واستعمال المشترَكِ في المعنيين"(2).

غرضُ الأمرِ ﴿فَٱنظُرْ﴾:

الأمرُ في ﴿فَٱنظُرْ﴾ خارجٌ عن قصد الإلزام إلى معنى التَّسليَةِ بالنِّسبة للرَّسول ﷺ، ومَن يقوم مقامَهُ في الدَّعوة إلى دين الله

عاقبةُ الكافرين وخيمةٌ في الدُّنيا وفي الآخرة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 128.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 128.

تعالى من علماءِ الأمَّة ودعاتها، وإلى معنى الاعتبار بالنِّسبة للظّالمين الجاحدين وجودَ اللّهِ تعالى، المكذِّبين بالبعث والحساب، بل ومعنى المؤمنين بالنِّسبة للمؤمنين؛ فيحمدون اللّه تعالى، ويدومون على إيمانِهم واعتصامِهم بدينه الحنيفِ، وإلى ذلك فـ "الأمرُ بالنَّظر مستعمَلٌ في التَّعْجيب والتَّهويل"(1)، من هول مصائرِ الكافرين؛ إذ "يقتضي إهلاكَهم وسوءَ عاقبتهم"(2).

دلالةُ مرجعِ الضَّميرِ في ﴿فَٱنظُرۡ﴾:

عـلى العـقـلاءِ تـدبُّـرُ مـصيرِ الـكـافـريـن، والسَّعيدُ مَن وُعِظَ بِغيرِهِ

يصحُّ أن يكونَ المخاطَبُ بالفعل ﴿فَٱنظُرۡ﴾ رسولَ اللّهِ ﷺ؛ ليتسلَّى عن تكذيبهم إيّاه في دعوتهِ بجهاد الأنبياء والمرسلين قبله، وانتصارِ اللّه تعالى لهم من الكفّار، وأن يكون خطابًا لكلِّ مَن يتأتّى منه النَّظر والاعتبار مِنَ النّاس - والسَّعيد من وُعِظ بغيره - وبخاصَّة "الكفار؛ لأنَّهم سمعوا بالأخبار جميعَ ما جرى من أنواع العذاب على قومِ نوح وعلى عاد وثمود وغيرهم، فإن لم يعلَموا ذلك؛ فلا أقلَّ مِن ظنٍّ وخوف يَصلح أن يكونَ زاجرًا لهم عن كفرِهم"(3).

غرضُ الاستفهامِ في: ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ﴾:

كـلُّ تـعـريـضٍ بِالعذاب تحذيرٌ لـكـلِّ إنـسـانٍ يَبلُغه القرآن

الاستفهامُ في قوله: ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ "تعجيبيٌّ للتَّفظيع"(4)، وللتَّهويل ممّا حلَّ بأكثرِ المنذَرين مِنَ الأوَّلين، مِن خيبةِ سعيٍ في الدُّنيا، ومن عذابٍ أليمٍ في الآخرة، فهذا الجحيمُ السّابقُ ذِكْرُهُ، وسواءُ الجحيم، وطعامُ شجرة الزَّقّوم المنصوص عليه، بعضُ ما ينتظرُهم هنالك في أودية العقاب.

كذلك وراء الاستفهامِ هنا تعريضٌ لكفّار مكَّة، بل ولكلِّ إنسان يبلغه القرآنُ، وتخويفٌ وتحذيرٌ من أنْ يَحُلَّ بهم مثل ما حَلَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 128.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 107.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 338.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 129.

بهؤلاء من العذابِ، "قال مقاتلٌ: يقول: كان عاقبتُهم العذابَ، يحذِّر كفّار مكَّةَ"(1).

كذلك في هذا الاستفهام "تهديدٌ لهؤلاءِ المشركين، وجَمْعٌ بينهم وبين مَن أهلكَهم الله تعالى من المكذِّبين برُسُلِ اللهِ ﷺ على مورد الهلاك، وسَوْقٌ لهم جميعًا إلى عذاب الجحيم"(2).

نكتةُ التَّعبيرِ بالكون الماضي:

عبَّر الذِّكر الحكيمُ بالكون الماضي في قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾، والإيجاز يتحقَّق بدونه، فيقالُ في غير القرآنِ الكريم: (فانظر كيف تكون عاقبة المنذرين)؟ أي: في الدُّنيا هنا، وفي الآخرة الَّتي لم تَحِنْ بعدُ.

سـوءُ عـاقـبـةِ الكافرين وشيكٌ - إن لم يتوبوا - وحتميٌّ؛ لأنَّ كلَّ ما هو آتٍ قريبٌ

لكن النَّظم الكريم عبَّرَ بالكون الماضي لإفادة تَحقُّق الوقوع، فكلُّ آتٍ هو في عداد ما مضى بالنِّسبة لله تعالى، وفي ذلك مزيدُ تهديدٍ للكفار، كما فيه مزيدُ تثبيتٍ ومواساةٍ لرسولِ الله ﷺ، والدُّعاة إلى الله تعالى مِن بَعدِه.

كذلك في التَّعبير بالكون الماضي ملاءمةٌ لما حلَّ في الأمم الماضية مِن هلاك في الدُّنيا، وكانت العاقبةُ للمتَّقين، كما في ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: 21]، وكما أنَّ حسن خواتيم المؤمنين في الدُّنيا مبشِّرٌ بحسن مصيرِهم في الأخرى، كذلك سوءُ خواتيمِ الكافرين في الدُّنيا كاشفٌ عن سوءِ مصيرِهم في الأخرى.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿عَقِبَةُ﴾ مضافةً:

العِبرةُ في الجهاد الـظَّـفَـرُ بثمرة الثَّمرةِ، فالنَّتائج بمقدِّماتها

في التَّعبير بمفردةِ الـ ﴿عَقِبَةُ﴾، دونَ ألفاظ (آخرة وخاتمة ونهاية) لَفْتٌ إلى ثمرةِ الثَّمرةِ ونهاية النِّهاية، وتنبيهٌ إلى أنَّ نهاية المنذَرين المكذِّبين إلى الجحيم نتيجةٌ لما قدَّموه مِن أسباب، وكذلك

(1) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل: 1/ 551، والواحدي، التفسير الوسيط: 3/ 527.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 12/ 991.

ستكون نهايةُ كفّارِ قريشٍ؛ إن لم يتوبوا، ويؤمنوا؛ إذ الـ ﴿عَقِبَةُ﴾ "آخرُ أمرِ الَّذين أُنذِروا مِن الهول والفظاعة والهلاك؛ لمّا لَمْ يَلتفتوا إلى الإنذار، ولم يرفعوا لهم رأسًا"[1]، والـ ﴿عَقِبَةُ﴾ "ما يؤدّي إليها السَّببُ المقدَّم، وليس كذلك الآخرة؛ لأنَّه قد كان يمكن أن تجعل هي الأولى في العِدَّة"[2]، والخاتمة والختام من كلِّ شيءٍ: آخره[3]، والنِّهاية: منقطَع الشَّيء، فقيل: هو نهايته، أي: منتهاه[4].

لطيفةُ تذكيرِ الفعل ﴿كَانَ﴾ مع تأنيث ﴿عَقِبَةُ﴾:

قد يُذَكَّرُ المؤنَّث لفظًا مبالغةً في الوصف

في تذكيرِ الفعل ﴿كَانَ﴾ مع ﴿عَقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ المؤنَّثة مبالغةٌ في تهويل أمرها؛ إذ يوجِّهُ تذكيرُ الفعل معناها نحو معنى العذابِ ومحلِّ العقابِ، وهو الجحيمُ المذكور قبل آياتٍ: ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾، ﴿فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

معنى (ال) في ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾، ولطيفة جمعه:

تحقُّقُ اشتراكِ اللّاحِقين مع السّابقين في الضَّلال يَجعل عاقبتَهم كعاقبتهم

(ال) في ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾ تعريفيَّة عهديَّة؛ إذ هم المفهومون من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾، المضمَرون في القيد ﴿فِيهِم﴾، فهؤلاءِ هم (المنذَرون) المقصودون، على أنَّ منهم ناجون موفَّقون، لكنَّ المقصودين هم الواقعون تحت الوعيد بقولهِ تعالى: ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ﴾، وفي ذلك كنايةٌ عن سوءِ العاقبة، فـ "كما فعل هؤلاءِ الذين ﴿أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾، فاتَّبعوهم، فقد تحقَّق اشتراكُ هؤلاءِ وأولئك في الضَّلال، فلا جرمَ أن تكونَ عاقبةُ هؤلاءِ كعاقبة أولئك"[5].

(1) حقي، روح البيان: 7/ 466.
(2) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 551.
(3) رضا، معجم متن اللغة: (ختم).
(4) العسكري، معجم الفروق اللغوية: 5.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 129.

فائدةُ إيقاعِ ﴿فَٱنظُرۡ﴾ على عاقبة ﴿ٱلۡمُنذَرِينَ﴾:

أغلبُ النّاسِ إلى الجحيم، والقلّةُ منهم المخلصونَ النّاجون

وقعَ الفعلُ ﴿فَٱنظُرۡ﴾ على عاقبةِ (ٱلۡمُنذَرِينَ) جميعًا، ومنهم المستثنون ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾؛ لتغليب الضّالّين منهم - الذين أهلكهم الله تعالى - على ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ الذين هم قِلَّةٌ قليلةٌ مستثناة من هذا الطّوفان الكبيرِ[1] مِنَ البشر الضّالّين.

بلاغةُ الجناسِ بين الـ﴿مُّنذِرِينَ﴾ و﴿ٱلۡمُنذَرِينَ﴾:

بديعُ الجناس في القرآنِ الكريم؛ لِما فيهِ من وفرةِ الفائدةِ في خدمة المعاني

بين الـ﴿مُّنذِرِينَ﴾، و﴿ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ جناسٌ محرَّفٌ؛ إذ تتَّفق الكلمتان في نوعِ الحروف، وترتيبها، وعددها، وتختلفانِ فقط في بعض الحركاتِ، وذلك ممّا يحقِّق الإثارةَ والانتباهَ، بما فيه من عنصرِ المخادَعةِ الَّتي عناها عبد القاهر؛ إذ يقول في ضابط حسن الجناس في كلام بعضهم: "قد أعادَ عليك اللَّفظةَ كأنَّه يخدعُك عن الفائدة، وقد أعطاها، ويوهمك كأنَّه لم يَزِدْك، وقد أحسن الزيادة ووفّاها، فبهذهِ السَّريرة صار التَّجنيس وخصوصًا المستوفَى منه المُتَّفَقَ في الصّورة مذكورًا في أقسام البديعِ[2]، ولا أبدع من تجنيس القرآن الكريم؛ لِما فيه من وفرةِ الفائدةِ في خدمة معانيه.

معنى الاستثناءِ في قولهِ: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾:

عبادُ اللهِ المخلَصون موفَّقون، فليسوا داخلين في جنس المتوعَّدين بسوء العاقبةِ

﴿إِلَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ استثنائيَّةٌ منقطعةٌ، والمعنى: لكنَّ عبادَ الله المخلَصين موفَّقون، منعَّمون برضوان الله تعالى وجنانه، وليسوا داخلين في جنس ﴿ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ المتوعَّدين بسوء العاقبةِ، المفهوم من قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾، فـ "استثنى ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ من عباده، فهُم الأقلُّ المقابل لقوله: ﴿أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، والمعنى: إلّا عبادَ الله، فإنَّهم نجَوا"[3].

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 12/ 991.
(2) الجرجاني، أسرار البلاغة: 7.
(3) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير: 9/ 108.

سرُّ الإضافةِ في ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾:

التَّنويهُ بعظيمِ ما قـدَّم المُكلَّف مِن إيمانٍ وعملٍ صالحٍ

في إيثار إضافةِ ﴿عِبَادَ﴾ إلى الاسم الجليلِ ﴿ٱللَّهِ﴾ دونَ إضافتِهم عنوانَ الرُّبوبيَّة إشارةٌ إلى عظمة الرِّضوان الإلهيِّ عليهم؛ لأنَّ الرَّبَّ يعطي كلَّ النّاس، أمّا الاسمُ الجليلُ ﴿ٱللَّهِ﴾؛ فمُكَلِّفٌ، فإذا أعطَى المكلَّفَ؛ دلَّ على عظيم ما قدَّم المَرْضيُّ عليهم من الإيمان.

معنى (اللام) في ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾:

المخلَصون الذين آمنوا، وأخلصوا دينَـهـم لـلـه، وأخلصَهم اللهُ لدينِهِ

(اللام) في ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ جنسيَّةٌ، تستغرق كلَّ مخلَص أخلصه اللّه تعالى له، واصطفاه لخدمةِ دينِهِ، وإقامة حدودِهِ وشرائعه، وتستغرق كلَّ مخلِص أخلصَ نفسَهُ ودينَهُ للّه تعالى، فـ ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ هم "الذين آمنوا، وأخلصوا دينَهم للّهِ، أو أخلصَهم اللّهُ لدينِهِ، على القراءتين"[1]، "فإنَّهم لم يعذَّبوا"[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالإخلاص، وصوغه اسم مفعول:

الإخـلاصُ روحُ الـدّيـن وآيـةُ العبوديَّة وأمارةُ القَبولِ وأخصُّ مـا يـتـحـلَّى به العباد

التَّعبيرُ بوصف الإخلاصِ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ دونَ غيرِهِ مِنَ الأوصاف الطَّيِّبة دليلٌ على أنَّ الإخلاصَ روحُ الدّين، وأمارةُ القَبولِ، وآيةُ العبوديَّةِ للّهِ ﷻ، ففيه تنبيهٌ إلى أخصِّ ما يجب أن يتحلَّى به الـ ﴿عِبَادَ﴾ في علاقتِهم باللّهِ تعالى كي يرتقوا إلى درجةِ الـ ﴿عِبَادَ﴾، فـ "المُخلَص هو مَن اختاره اللّه تعالى للهُدى مِن بين هذا الرُّكام، وصفّاه مِن شوائب الضَّلال الضارِب بِجِرانِهِ على القوم"[3].

وفي صوغه اسمَ فاعلٍ دليلٌ على ثبات الـ ﴿عِبَادَ﴾ عليه، ورسوخه فيهم، لا يذبذبهُ شكٌّ، ولا يزلزله حدَثٌ، فاللَّهمَّ اجعلنا منهم.

---

(1) بفتح اللام وكسرها، الزمخشري، الكشاف: 4/ 47.
(2) السمرقندي، بحر العلوم: 3/ 144.
(3) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 12/ 991.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإنذار والتَّخويف:

الإنذار: تخويفٌ مع إعلام موضعِ المخافةِ، من قولك: نذرتُ بالشَّيء؛ إذا عُلِّمْتَهُ، فاستعدَدْتَ له، فإذا خَوَّف الإنسانُ غيرَهُ، وأعلمَهُ حالَ ما يُخوِّفه به؛ فقد أنذرَهُ، وإن لم يُعْلِمْهُ ذلك؛ لم يقل: أَنْذَرَهُ، والنَّذْرُ ما يجعلُهُ الإنسانُ على نفسِهِ؛ إذا سَلِم ممّا يَخافُهُ، والإنذارُ إحسانٌ مِنَ المنذِرِ، وكلَّما كانتِ المخافةُ أشدَّ؛ كانت النِّعمةُ بالإنذار أعظمَ؛ ولهذا كان النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم أعظمَ الناسِ مِنَّةً بإنذارِهِ لهم عقابَ الله تعالى[1].

الإنـذارُ تخويفٌ مـع إعـلام، والـتَّـخـويـف مطلقٌ

(1) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 78.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»